عبد الرحمن سلام

(١٢٨٨ - ١٣٦٠ هـ)

محمد مطيع الحافظ - نزار محمد أباظه

هو عبد الرحمن بن محمد سليم المهتدي

نزح والده محمد سليم وهو صغير من بلدة زحلة سنة ١٢٣٢ هـ ، وكان كاثوليكياً يدعى جرجس الصفدي ، فقصد بيروت ليعلن إسلامه على يدي مفتيها آنذاك ، بدافع روحي لا صلة له بترغيب ولا ترهيب ، وكان في سعة عيش عند أهله ، فقدّمه مفتي بيروت إلى أسرة الفاخوري ، وأوصاهم به خيراً ، فعاش في كنفهم ردحاً من الزمن .

ثم تعرف إلى أسرة سلام فأنزلوه منهم منزلة الولد البار وتسمى باسم محمد سليم المهتدي سلام ، وسجّلوه في قيد النفوس التابع لهم ، وزوجوه من إحدى بناتهم .

ولد عبد الرحمن سلام في بيروت سنة ١٢٨٨ هـ ، ونشأ نشأة دينية خالصة ، وتلقى مبادىء العلوم في مدرسة ابتدائية يديرها الشيخ رجب جمال الدين ، فأتقن مبادىء الفقه وشيئاًمن اللغة العربية والحساب والخطّ ، وانكبّ على المطالعة ثم أخذ يتردد على حلقات العلماء في المساجد . ووقف مواهبه أخيراً على العربية وآدابها ، وتعمّق فيها ، حتى أصبح إماماً في اللغة ومرجعاً فيها ، ولقب بفرزدق عصره .

عيّن في بدء حياته قاضياً شرعياً لبلدة قلقيلية في فلسطين ، ثم رئيساً لكتاب المحكمة الشرعية ببيروت ، ثم انتقل لأسباب خاصة إلى

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

دمشق ، فاتخذ متجراً لبيع الكتب والمخطوطات ، وبقي فيها حتى قيام الحرب العالمية الأولى ، فرحل إلى حمص وعيّن فيها أستاذاً لآداب اللغة العربية في الكلية الوطنية ، فأفاد الطلابُ منه جليل الفوائد ، وكان يغرس في نفوسهم حب الوطن وتمجيده كما أشار إلى ذلك أدهم الجندي مؤلف كتاب أعلام الأدب والفن وكان من جملة طلابه في حمص [١] .

وفي سنة ١٣٣٥ هـ/١٩١٦ م عيّن في القدس أستاذاً للعربية وآدابها في الكلية الصلاحية، وبقي على عمله سنتين تقريباً. ثم في آخر عهد العثمانيين أمر به فجيء إلى دمشق مخفوراً بتهمة تأسيس شعبة من تلاميذه ، تدعو إلى قيام دولة عربية . وصادف وصوله إليها دخول الأمير فيصل فأطلق سراحه وقرّبه ، واتخذه مستشاراً له . وأسندت إليه وظيفة مميّز أوقاف سورية . وانتخب عندما عقد مؤتمر العلماء بدمشق نائباً لرئيس مؤتمر العلماء في سورية ولبنان .

عيّن سنة ١٣٣٨ هـ أستاذاً للغة العربية وآدابها والبلاغة في مكتب عنبر وفي مدرسة التجهيز ودار المعلمين ، وبقي قائماً على التدريس حتى سنة ١٣٤٣ هـ ، كما انتخب في هذه الأثناء عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق[٢] كما انتخب فيما بعد عضواً في المجمع العلمي العربي اللبناني .

حدّث الأستاذ المرحوم بهجة البيطار أنّه لما دخل الفرنسيون دمشق سنة ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ ، شعر بصدمة عنيفة ، وتألم ألماً شديداً ، وقيل انه أصيب وقتئذ بحالة هستيرية ، لم يدر معها ماذا يفعل ، لازمته مدة ، ثم

---

(١) أعلام الأدب والفن ٢ / ٣٧٩ .

(٢) في الجلسة التي عقدها مجلس المجمع بتاريخ ١٣ حزيران ١٩٢١ م / ١٣٤٠ هـ (من إضبارة عبد الرحمن سلام المحفوظة في المجمع) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تجاوزها إلى الإحساس بالألم الممزوج بالحقد على المستعمر الواغل ، مما دفعه إلى القيام بواجب الجهاد والثورة ، فأخذ يدرب لفيفاً من الشبان على القتال في سفوح قاسيون بمنطقة كانت تسمى الجري كانت مضماراً لسباق الخيول[٣]

وفي سنة ١٣٤٤ هـ حنّ إلى بيروت فرحل إليها مع أسرته وعيّن أستاذاً مدرساً لأساتذة جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية ببيروت وفي هذه الأثناء أصدر جريدة أسبوعية فكاهية باسم « القلم العريض » سرعان ما أقفلها . ثم في سنة ١٣٤٩ هـ عيّن أميناً للفتوى في الجمهورية اللبنانية وبقي يشغلها حتى آخر عمره .

حضر المؤتمر الإسلامي الذي عقده الملك عبد العزيز آل سعود عام ١٣٤٥ هـ[٤] وشارك في بحوثه ، وكان في المؤتمر أحد المشاركين البارزين .

له مؤلفات عديدة منها :

- شرح ديوان النابغة الذبياني .
- شرح ديوان الرصافي .
- دفع الأوهام بقلم ابن سلام (وهو ردّ لغوي على الشيخ ابراهيم اليازجي صاحب مجلة الضياء لمقالته في لغة الجرائد و تغليط بعض مشاهير المؤلفين فيما استعملوه من الألفاظ والتراكيب[٥] .
- خزانة الفوائد (فوائد لغوية تزيد على ألف فائدة) .
- كتاب المتن والمكن .
- الأذواء .

---

(٣) سمع هذا الخبر من الأستاذ البيطار في مقابلة مع الأستاذ ظافر القاسمي بعد إصداره كتاب مكتب عنبر الأستاذ بهيج الغبرة وهو حدثنا به .

(٤) أعلام الأدب والفن ٢ / ٣٨٧ .

(٥) طبع بالمطبعة الأدبية في بيروت سنة ١٣١٧ هـ ويقع في ٦٤ صفحة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ـ رد على الأب نيقولا غبرييل صاحب النشرة الأسبوعية (حول كتاب بحث المجتهدين في الخلاف بين النصارى والمسلمين . وهو قصيدة تزيد على ثلاثة آلاف بيت على وزن واحد وقافية واحدة) .

ـ الصافي في علمي العروض والقوافي (نظم وشرح) .

ـ غاية الأماني في علم المعاني (نظم وشرح) .

وفي المجمع نشط بين إخوانه فشاركهم في إلقاء المحاضرات ومما له[٦] :

ـ محاضرة « الشعر وتأثيره في الأخلاق » .

ـ محاضرة « الشعر أو حرفة الأدب » .

وترك أشعاراً لطيفة جميلة تدل على قريحة وفصاحة ، منها تخميسه لقصيدة ابن الفارض تقع في أكثر من عشرين مقطعاً منها :

برق تألق أم جمالك أسفرا أم نور وجهك لاح أم طيف سرى
حيرتني يامؤنسي فيما أرى زدني بفرط الحب فيك تحيرا
وارحم حشاً يلظى هواك تسعّرا

يامن جعلت لي الغرام سليقة فغدت عهودي في هواك وثيقة
امنن ودع حجب الجمال رقيقة فإذا سألتك أن أراك حقيقة
فاسمح ولا تجعل جوابي لن ترى

سيروا بسيري في المحبة واجمعوا جمعي وعن حالي فلا تترفعوا
وإذا انجلى لكم المحلّ الأرفع عني خذوا وبي اقتدوا ولي اسمعوا
وتحدثوا بصبابتي بين الورى

ومن لطيف شعره بيتان قالهما مرتجلاً في المؤتمر الإسلامي المذكور لمّا قال الملك عبد العزيز آل سعود : « نحن عرب قبل أن نكون مسلمين » :

(٦) مجلة المجمع مج ١١ / ٢٢ ، ٢٣ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قال عبد العزيز قولاً كريماً والصوابُ الذي يقول الإمامُ
نحن قبل الإسلام عربٌ ولكن نحن بعد الإسلام عرب كرامُ

وقصائده متنوعة منها الوطنية ، والاجتماعية ، والصوفية ، وذات الحكم والأمثال .

كان عالماً بحاثة فيلسوفاً وطنياً مجاهداً ، يهوى الصوفية ويجمع بين الدين والدنيا ، يأنف المحاباة وينفر من المظاهر الزائفة في الحياة ، لا يهاب أحداً في المواقف المحرجة ، وكانت صراحته تؤلم أهل النفاق ، كما كان كريماً متواضعاً يحب الخير ونشر العلم ، عليه هيبة ووقار يألف النوادر ويسدد النكات ، وهو إلى ذلك حاد المزاج قد يغضب لسبب من الأسباب لكنه يعود إلى سماحته .

قال علي الطنطاوي في مقدمة كتاب مكتب عنبر للقاسمي « لقد كان أول درس حضرناه في مكتب عنبر للشيخ عبد الرحمن سلام فاستقبلنا رحمة الله عليه بخطبة رنانة أعلن فيها أنه غدا منذ ذلك اليوم (مع قيام الدولة العربية) مدرساً للعربية حقاً . ذلك أن من كان قبلنا من التلاميذ قد درسوا في العهد التركي فنشؤوا إلا من عصم الله على ضعف بالعربية ، ومن كان معنا درسوا في العهد العربي فكانوا أقوى ملكة وأقوم لساناً . رحمة الله على شيخنا عبد الرحمن سلام فلقد كان نادرة الدنيا في طلاقة اللسان وفي جلاء البيان . ولقد عرفت من بعده لُسُنَ الأدباء ومصاقع الخطباء فما عرفت لساناً أطلق ولا بياناً أجلى ولست أنسى خطبته حينما أطل من شرفة النادي العربي[٧] قبل ميسلون

(٧) تأسس هذا النادي في ٢٥ ذي الحجة ١٣٣٦ هـ ، وهو ناد قومي سياسي ثقافي ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

على بحر من الخلائق تموج موجان البحر قد ملأ ما بين محطة الحجاز والمستشفى العسكري في بوابة الصالحية وسراي الحكومة وحديقة الأمة (المنشيّة) وكبرّ تكبيرة رددتها معه هذه الحناجر كلها وأحسسنا كأن قد رددتها معه الخمائل من الغوطة والأصلاد من قاسيون ثم صاح صيحته التي لا تزال ترن في أذني من وراء ثلاث وأربعين سنة حتى كأني أسمعه يصيح بها الآن : غورو لن تدخلها إلا على هذه الأجساد . » .

وقال الأستاذ القاسمي في مكتب عنبر : « لم أدرك شخصياً الشيخ عبد الرحمن سلام رحمه الله ولكني سمعت عنه ممن سبقوني روائع في الذوق والرقة واللطف وتحبيب الطلاب بلغة العرب وآدابها ، وكان شاعراً مبدعاً رقيقاً وعالماً ضليعاً » .

رحم الله اللغوي الشاعر الأديب البحاثة عبد الرحمن سلام الذي ملأ عصره عملاً وعلماً ومحبة للوطن فكان القدوة التي تحتذى والأمثولة التي تقتدى .

توفي عبد الرحمن سلام في بيروت سنة ١٣٦٠ هـ / ١٩٤١ م بعد أن أدى رسالته على أكمل وجه ، فحزنت عليه الأمة ، وفقدت بفقده مشعلاً للعلم والوطنية والحق والخير . وشيعته بيروت بل الأمة كلها بأرواحها وعواطفها ودفن في مقبرة الباشورة .

كانت قيادته المركزية في دمشق ، وأصبح مركز الحركة والنشاط ، ومدرسة التربية الوطنية السياسية ، وسيطر على الحياة العامة ، وقاد جماهير الشعب ، وغذى في نفوسها روح المقاومة لردّ عادية الأطماع الاستعمارية ، ولم يعمر طويلاً إذ سريعاً ما أغلقه الفرنسيون بعد الانتداب (مجلة المجمع مج : ٦٢ ص ١٦١ مقالة الأستاذ الدكتور شاكر الفحام عن المرحوم الدكتور حسني سبح) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المراجع

- أعلام الأدب والفن ٢ / ٣٧٨ ـ ٣٨٠ — أدهم آل جندي
- معجم المطبوعات ١٢١ — يوسف سركيس
- معجم المؤلفين ٥ / ١٣٩ — عمر رضا كحالة
- مكتب عنبر ١٧ ، ١٨ ، ٤٥ — ظافر القاسمي
- مجلة العرفان ٣ / ١٧٨ ـ ١٨٠
  ٣١ / ٧٤ ـ ٧٥
- مجلة المجمع العلمي العربي مج ١١ / ٢٢ ، ٢٣
- إضبارة الشيخ عبد الرحمن سلام في مجمع اللغة العربية بدمشق .
- مقابلة مع الأستاذ أحمد القاسمي مدير أوقاف دمشق سابقاً .
- مقابلة مع الأستاذ بهيج غبرة .
- الأعلام ٣ / ٣٠٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net